بمناسبة صوم العذراء ميمر عن

ميلاد السيدة العذراء

للقديس أنبا افرآم السرياني

"المجد لله الذى لم تدرك كيفيته العقول البشرية. ولم تحده الأوهام الفكرية. ولم تنته إلى الإحاطة بحقيقته قدرة إنسانية. هذا الذى قد تفرد بالذات الأحدية . والصفات الثانوية.

فهو الإله الواحد (الآب والابن والروح القدس) الذى له وحده هذا الاختصاص، وبذاته الأزلية تتعلق هذه الخواص. فلا يشركه أحد فى تسميته. ولا يدركه علم فى كيفيته. ذو القدرة والجلال. والعظمة والكمال. والجود والأفضال.

خلق الخلق تفضلا وجودا ومنح الأشياء من العدم وجودا. وأبدع الإنسان على مثال صورته وفضل نوعه وجنسه على بريته. الذى لم يبق قسما من أقسام الجود إلا أن جاد علينا بذاته. وجعلنا شركاء نعيمه ولذاته. فكمل جود اتحاده بتجسد كلمته وميلاده. وتدبير تأنسه واتحاده تدبيرا يفوق الأسرار. والأفهام والأفكار. وسرا كان مستترا من قديم الأدهار.

نمجده على جزيل هباته. ونشكره على مزيد نعمه وحسناته. مستشفعين بكرامة الست السيدة مريم العذراء التى استحقت أن تكون هيكلا لروح قدسه. وفلكا لإشراق شمسه وواسطة لخلاص آدم وجنسه. ومغرسا لأقنوم الإله الكلمة الذى أثمرت قطوف الرحمة من ثمرات غرسه. وجبلا شاء الرب أن يجعله له مسكنا فصيره بحلوله هيكلا طاهرا. وبابا للحياة لم يدخله غير رب القوات. وسبيلا للخلاص لم يسلكه غير خالق الأرض والسموات. وكنزا مختوما لم يفك الحمل الإلهي ختمه. ولم يغير الميلاد المسيحي رسمه. وكرسيا للملك العظيم لم يجلس عليه إلا الإله الكلمة. قضيبا مثمرا ثمرة الحياة ومطلعا لزهرة النجاة لا كعصا هارون التى أورقت زمنا يسيرا. وكان ذلك إلى سر السيدة العذراء مشيرا، وقبة شريفة مطهرة. وقدس أقداس دخله رئيس أحبار الخيرات المنتظرة فلنتوسل إليه بشفاعتها. ونستشفع إلى كرمه بتضرعاتها.

ونسأله أن يعرفنا قدر هذه النعم التى أفاضها علينا. ويؤهلنا للقيام بفرائض هذا العيد المجيد. فإنه يوم فتحت فيه الخيرات أبوابها وفاضت السعادة أثوابها. وهطلت البركات سحابها وملأت الحكمة كؤوسها. هذا اليوم الذى تمت فيه النبوات السابقة. وتحققت الأقوال الصادقة. واستبشرت بالخلاص جميع النفوس.

نسأله تعالى أن يبلغنا جميعا أمثاله أعواما مديدة صافية من الأكدار ويمنحنا صلاح الأحوال وزوال الأهوال. ويتعطف علينا بإدرار الأرزاق وعدل السلاطين. وردع المقاومين. وسلامة المسيحيين أجمعين. بشفاعة الرسل والشهداء القديسين. آمين.

أريد الآن أيها الإخوة الأحباء أن أعلمكم بهذا السر العظيم الذى هو ميلاد السيدة العذراء. وأسألكم أنا المسكين الخاطئ الدنس بآثامي الكثيرة أن تفتحوا مسامع آذانكم وتصغوا بقلوبكم لما أتلوه عليكم اليوم.

كان رجل غنى اسمه يواقيم من بني إسرائيل يملك شيئا كثيرا من ذهب وفضة وجواهر ثمينة وعبيد وإماء وحقول وبساتين وكل ما يتعلق بزخارف هذه الحياة الزائلة. وكانت له زوجة تدعى حنة من بنات هرون من سبط يهوذا وكانت عاقرا لم تلد البتة. الأمر الذى سبب حزنهما، فكانا يسألان الله سبحانه وتعالى آناء الليل وأطراف النهار بقلوب خاشعة ودموع غزيرة أن يرزقهما نسلا صالحا يسرهما قلبا ويقرهما عينا.

فالرب الإله جابر القلوب وعلام الغيوب شاء أن يتخذ مسكنا لروح قدسه فأجاب دعوتهما وأعطاهما ثمرا طيبا بواسطته يكون الخلاص لآدم وذريته من نير العبودية. بينما كانت حنة تندب نفسها فى كل وقت قائلة أى شيء تساوى حياتي من الدنيا مع تجردي من الثمر، وهوذا البهائم والطيور وكل المخلوقات يرزقون نسلا أما أنا فلم أرزق. الويل لي أنا، وعظيم هو حزني وألم قلبي. أسألك أيها الإله الدائم وحده. الذى سمع صوت سارة زوجة أبينا إبراهيم وأعطاها اسحق بعد الكبر. وسمع لراحيل وأعطاها يوسف وبنيامين أن تسمع صوت دعائي أنا المسكينة الخالية من النسل وتعطيني زرعا يسر به قلبي لأني صرت مرذولة بين أهلي وعشيرتي لا سيما بعلي يواقيم الحزين القلب كثيرا. وها أنا أعترف بين يديك يا إلهي إني لا أتركه يمشى على الأرض حتى أعطيه لهيكلك المقدس.

وكانت القديسة حنة تقول هذا الكلام وهى تبكى بكاء مرا. وفيما هى

كذلك جاءت إحدى جواريها فوجدتها على هذا الحال. فقالت لها ما بالك يا سيدتي متوجعة القلب. قالت لها حنة: دعيني لأن حزن قلبي عظيم. فأجابتها قائلة يا سيدتي أنا أشير عليك وسيدي العظيم أن تقدما لهيكل الله قربانا باسميكما لعل الإله يذكركما برحمته ويزيل حزنكما ويرزقكما ثمرة صالحة. حينئذ حضر يواقيم من عمله فعرفته حنة ما قالته جاريتها فاستحسنه كثيرا وقام مسرعا وأخذ قرابينا وبخورا وذبائح كثيرة ومضى حيث كان يوم عيد اليهود الكبير. فلما جاء لتقديم قربانه على المذبح منعه الكاهن قائلا أنت لم ترزق نسلا فى إسرائيل فلا ينبغي لك أن تقدم قربانك على مذبح الرب، فذهب وأعلم زوجته بذلك فحزنت كثيرا وقالت وهى تبكى بكاء مرا: أنت ياربى العظيم وحدك المتعالي على كل أحد القادر القاهر لكل شىء، بمن أشبه أنا الحقيرة نفسي فى هذه الساعة مع أن سائر الوحوش والطيور والبهائم على اختلاف أجناسها يرزقون نسلا إلا أنا، فقد نزعت منى الثمرة وصرت عارا بين أبناء جنسي. من ذا الذى يخلفني ليكون لي ساعدا حتى الممات. أسألك أيها الرب الجالس على الكرسي الشاروبيمى أن تسمع صلاتي ودعائي وترزقني نسلا يسر به قلبي.

وفيما هى تصغى إذ ظهر لها الملاك الجليل غبريال بنور سماوى. وقال لها يا حنة إن الله سمع دعاءك وصلواتك وإنك ستحبلين وتلدين ابنة مباركة وسيكون لها الطوبى فى جميع الأجيال وفى أقطار المسكونة ومنها يكون الخلاص لآدم وذريته من أسر إبليس. فأجابت حنة الملاك قائلة: حي هو الرب إنى لو رزقت بمولودة كما قلت لي لقدمتها قربانا للرب لتخدمه كل أيام حياتها فى هيكله المقدس.

ثم تركها الملاك وتوجه إلى يواقيم حيث كان فى البرية يصلى إلى الله ويسأله بتضرع مدة أربعين يوما لم يأكل ولم يشرب، وقال له أيها الرجل الصالح لماذا أنت مكتئب القلب. إن الله اختارك وأكرمك أكثر من بني إسرائيل. أجاب يواقيم وقال من أنت الذى تخاطبنى هكذا. فقال له الملاك أنا هو جبرائيل الواقف أمام كرسى الرب الإله أرسلنى إليك لأبشرك. قم وامض إلى زوجتك المباركة حنة فإنها ستحبل وتلد ابنة عذراء وتدعوها مريم ومنها يكون خلاص أدم وذريته.

ولما قال له هذا غاب عنه، فقام يواقيم وجاء إلى زوجته فوجدها فى مراع الغنم، فخاطب بعضهما بعضا بما قاله ملاك الرب لهما وفرحا فرحا عظيما جدا وقالا ليكن اسم الرب مباركا. ثم أولما وليمة عظيمة للكهنة

وشعب الرب وأخذا قربانا وذبائح وبخورا ومضيا بها لتقديمها لله ذبيحة مرضية قائلين إن كان الله قبل دعاءنا وسمع لنا وذكرنا فالكاهن يقبل قرابيننا ويقدمها أمام الله. فلما وصلا خرج الكهنة إلى يواقيم وقالوا له افرح فإن الله قد سمع لك وأكرمك. ثم أسرعوا وأخذوا القرابين وقدموها إلى الهيكل، وفى تلك الساعة صعدت إلى طيبا، ثم بارك الكهنة يواقيم وحنة زوجته وودعوهما وانصرفا وهما يسبحان الله ويقولان هكذا (تباركت يا الله يا من قبلت دعاءنا وسمعت طلباتنا).

ثم انفردت حنة فى مكان وحدها للصوم والصلاة ولم تأكل شيئا دسما، وكانت تصنع صدقات كثيرة للفقراء والمساكين والضعفاء وذوى الحاجة، ولما تمت أيام حملها اشتد بها المخاض، فأرسلت بعض جواريها لتأتيها بقابلة، واستمرت قلقة حتى صبيحة اليوم الأول من شهر بشنس حيث وضعت العذراء الطاهرة بوجه ممتلئ من نعمة الروح القدس ودعتها مريم كبشارة الملاك قبل الحبل بها.

أما سرورهما فى ذلك اليوم فكان عظيما جدا وقدما فيه القرابين شكرا لله وأطعما الفقراء والمحتاجين وتصدقا بشىء كثير ولبثا كذلك حتى انقضاء العام الثالث ومن ثم قدما الطفلة إلى هيكل الرب وهى تنمو كل يوم وتزداد صحة وقواما بوجه حسن ونور ساطع وهدوء وسكينة وعزة نفس، إلى أن أتاها ملاك الرب وبشرها بقبول الكلمة . وفعلا تم ذلك وكمل الخلاص لآدم وذريته بحلول الابن داخل أحشائها الطاهرة.

فلنقل مع الملاك غبريال هكذا " السلام لك يا ممتلئة نعمة. الرب معك. منك أشرق الإله الحى الأزلى المتجسد من الروح القدس. حول أحزاننا إلى فرح قلب. فلهذا نسجد له ونرتل لأمه مريم الحمامة الحسنة ونصرخ بصوت التهليل ونقول:

السلام لك يا مريم أم عمانوئيل إلهنا الحقيقى. السلام لك يا مريم خلاص أدم أبينا. السلام لك يا مريم أم ملجأنا. السلام لك يا مريم تهليل حواء . السلام لك يا مريم ابنة يواقيم فرح هابيل البار. السلام لك يا مريم الحجر الكريم. السلام لك يا مريم خلاص نوح. السلام لك يا مريم الطاهرة العفيفة. السلام لك يا مريم نعمة إبراهيم. السلام لك يا مريم الإكليل غير المضمحل. السلام لك يا مريم نجاة إسحق. السلام لك يا مريم أم القدوس. السلام لك يا مريم تهليل يعقوب. السلام لك يا مريم سيدة الشعوب. السلام لك يا مريم فخر يهوذا. السلام لك يا مريم والدة الخالق. السلام لك يا مريم بشارة

موسى. السلام لك يا مريم والدة السيد. السلام لك يا مريم كرامة صموئيل. السلام لك يا مريم فخر إسرائيل. السلام لك يا مريم أصل يسى. السلام لك يا مريم الرب معك. السلام لك يا مريم والدة الابن الحبيب. السلام لك يا مريم رفعة الصديقين. السلام لك يا مريم قوة إيليا. السلام لك يا مريم نعمة أليشع. السلام لك يا مريم والدة الإله. السلام لك يا مريم أم يسوع المسيح. السلام لك يا مريم الحمامة النقية. السلام لك يا مريم والدة الابن الإله الأزلى. السلام لك يا مريم الشاهد لحبلها الإلهي كل الأنبياء والصديقين حيث قالوا هوذا الإله الكلمة يأتي ويتجسد منك بوحدانية لا ينطق بمثلها. ارتفعى بالحقيقة أكثر من عصاة هرون أيتها الممتلئة نعمة. ما هى العصاة إلا مريم لأنها هى مثال بتوليتها حبلت وولدت بغير مضاجعة إنسان، الأمر الذى لا تدركه العقول البشرية. ولدت ابن الله العلى الكلمة الأزلية الذى خلص آدم الحزين القلب. سر الرب أن يعيده إلى رئاسته الأولى، أشرق متجسدا من العذراء بغير زرع بشر حتى خلصنا. حواء التى أطغتها الحية أخذت القضية من قبل الرب وهى تكثير أحزانها وتوجع قلبها وتنهدها بسبب مخالفتها. فالرب الإله ترأف بمحبته للبشر وتجسد من العذراء بسر لا يدرك ليعتقنا دفعة أخرى. يسوع المسيح الكلمة الذى تجسد وحل فينا ورأينا مجده مثل مجد ابن وحيد لأبيه سر أن يخلصنا فأشرق متجسدا منك أيتها العذراء. رأى إشعياء النبى هذه النبوة بإلهام من روح القدس وقال يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام.

افتح يارب باب مراحمك واعطنا أيها العلى فرحا وابتهاجا كوعدك الصادق يا من تنازل وأرسل لنا ذراعه العلى الذى أتى، وأيضا يأتى يسوع المسيح الكلمة المتجسد بغير تغيير صار إنسانا كاملا، لم يمتزج ولم يختلط ولم يفترق من بعد الاتحاد بل طبيعة واحدة وأقنوم واحد لله الكلمة.

السلام لبيت لحم مدينة الأنبياء التى ولد المسيح فيها آدم الثاني لكى يعيد آدم الاول إلى الفردوس ويحل قضية الموت الناشئة من مخالفته أمر الرب القائل له أنت تراب وإلى تراب تعود. لأنه بمخالفة آدم كثرت الخطية وبمجىء السيد المسيح له المجد فاضت النعمة وزالت العداوة وعتقنا من العبودية المرة.

كل نفس تفرح وتسبح مع الملائكة للسيد المسيح رب المجد صارخة قائلة: المجد لله فى الأعالي وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة. نور

هو الله ساكن فى النور وملائكته نور يسبحونه لأنه أشرق متجسدا من العذراء النور. والروح القدس أيقظ داود قائلا: قم رتل لأن النور أشرق فقام داود النبى وأخذ قيثارته الروحانية ومضى إلى البيعة ورتل للثالوث المقدس قائلا: بنورك يارب نعاين النور فلتأت رحمتك للذين يدعونك لأنك أنت النور الحقيقى الذى يضىء لكل إنسان آت إلى العالم. أتيت يا سيدى يسوع المسيح بمحبتك للبشر وكل البشرية فرحت بمجيئك. خلصت آدم من الخديعة وحواء عتقت من مخالب الموت وأعطيتنا البنوة.

فلنسبحك ونباركك مع الملائكة: لسانى ضعيف وأنا خاطئ ومسكين، لم أستطع أن أنطق بكرامتك أيتها العذراء لأن آدم وحواء لما أكلا من ثمرة الشجرة المنهي عنها سقطا وسقطنا جميعا تحت سلطان الموت، ومن قبل مريم والدة الإله رد أدم إلى رئاسته الأولى مرة ثانية. داود وسليمان النبيان يسبحانك ويكرمانك؛ دعاك الأول مدينة الله العلى، وقال الثانى عنك فى نشيد الإنشاد: أختي حبيبتي الكاملة رائحة ثيابك أزكى من العنبر، فيا جميع العذارى كن طهارى لكى تصرن بنات للسيدة العذراء والدة الإله، تلك التى بواسطتها قد وجدنا دالة كي نسأل السيد المتجسد منها بالسر غير المدرك أن يغفر لنا خطايانا ويثبتنا على الأعمال المرضية ويشيد ما بنيناه من أركان الفضائل ويدحض ما أتيناه من أدران الرذائل. ويلهمنا أعمالا ترضيه تاركين ما يغضبه ويعصيه. ويكفينا شر تجارب الزمان ونوائب المحن وحدوث النقم وزوال النعم،ويثبتنا على الإيمان المستقيم، ويؤهلنا ميراث النعيم ويرزقنا بسلطان يعطف علينا ويرأف بنا ويحسن إلينا، ويمن علينا بصلة الأرزاق وكثرة الخيرات ورخاء الأسعار وطيب الأخبار وخصب الزرع ونمو الأثمار ووفاء الأنهار بشفاعة السيدة العذراء.

ولنقف فى بيعته المقدسة بقلوب صافية من الأكدار وعقول سليمة من تقسيم الأفكار ونفوس شاعرة بالتواضع والوقار ويوصلنا إلى ميناء الخلاص، ويجعلنا من أهل اليمين نحن العاملين بوصاياه الإلهية وأقواله الإنجيلية الناطق بها فى بيعته الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية، بعقول خالية من الأفكار الشيطانية مصمين آذاننا عن كل رذيلة عاملين بالناموس فى السر والعلانية، مستحقين تناول جسده الطاهر ودمه الزكى اللذين بهما خلاص البشرية وغفران خطايانا وصحة أجسامنا وحياة نفوسنا المائتة بالخطية، ويجعلنا ممن فاز بصالح الأعمال قبل فروغ الآجال. وأن يكفينا شر التجارب الشيطانية والمحن الزمانية والأمراض البدنية بشفاعة ستنا العذراء

سيدة المؤمنين أجمعين. وكرسى رب العالمين. ابنة يواقيم. أم فادينا العظيم الذى له المجد مع أبيه الصالح وروحه القدس إلى آباد الدهور. آمين."